الدفقة الثامنة

الوسيلة كما يجب أن يتعلمها الناس

- معنى الوسيلة لغة .
- مفهوم الوسيلة شرعاً .
- حكمها الشرعي ودليله .
- هيئات أو صور التوسل .
- التوسل كما جاء فى القران الكريم .

أ- توسل صحيح محمود . ب- توسل خاطئ مذموم .

- مقارنة بين آيتى التوسل للرد على المنكرين .
- توضيح الآيتين اللتين جاءتا فى سورة نوح .
- سؤلان من هؤلاء المنكرين والرد عليهما .

الوسيلة
كما يجب أن يتعلمها الناس

معنى الوسيلة لغة :- الوصلة أو الواسطة

مفهوم الوسيلة شرعاً :- ما يتقرب به إلى الله تعالى من عمل أو غيره ، أو التقرب إلى الله تعالى بما يحب

حكمها الشرعي ودليلها :- اتفق العلماء جميعاً على جواز التوسل ، واختلفوا فيما يقبله لفظ التوسل أو يتحمله ، يقول الله تعالى :- " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ " (١)

هيئات أو صور التوسل :- للتوسل خمسة أشكال أو هيئات أو صور تبعاً للمتوسَّل به :-

١- التوسل إلى الله بالله – سبحانه وتعالى – وأسمائه وصفاته .

٢- التوسل إلى الله بالنبي - ﷺ - وجميع الأنبياء والرسل .

٣- التوسل إلى الله بالملائكة المقربين .

٤- التوسل إلى الله بالصديقين والشهداء والصالحين .

٥- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة والأشياء المقدسة .

(الأشياء التي عظمها الله)

التوسل كما جاء فى القران الكريم :- إن التوسل جاء فى آيتين توضحان أن هناك نوعين للتوسل :-

---

١ - (المائدة:٣٥)

١- **النوع الأول :- توسل صحيح (محمود) .**

وهو الذي جاء فى قوله تعالى:- " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ " [١]

والتوسل الصحيح :- هو الاعتقاد فى الرسل أو الصالحين بأنهم مقربون من الله ، والله يستجيب لدعائهم ، وإن الله هو النافع والضار والقادر على كل شئ ، ولايتم اىشئ بدون مشيئتة ، وإن التوسل لا يكون لا بالرسل والأولياء فقط ، ولكن بالهيئات الخمسة التى ذكرناها ، وهذا هو توسل أمة الإسلام .

****

٢- **النوع الثاني :- توسل خاطئ (مذموم)**

وهو الذى جاء فى قوله تعالى :-" أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾ "[٢]

والتوسل الخاطئ :- هو تحول الاعتقاد فى الصالحين من وسيلة تقرب من الله – عز وجل – إلى عبادتهم كما جاء فى قوله تعالى :-" ...مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ... "[٣] فقد تحول الصالحون من مقربين إلى الله – سبحانه وتعالي – مستجابى الدعاء إلى آلهة تعبد من دون الله ، ومن وسيلة تقرب إلي الله، إلى وسيلة تبعد عن الله – عزوجل – وهذا هو توسل الكافرين .

****

١ - (المائدة:٣٥)
٢ - (الإسراء:٥٧)
٣ - سورة الزمر آية (٣) زلفي : تقريباً

مقارنة بين آيتي التوسل للرد على المنكرين :-

إن هؤلاء المنكرين كما قلنا سابقا يأتون بالآيات التى نزلت فى الكفار ويطبقونها على المسلمين ، وهذا قصر نظر ، وعمى بصيرة ، وضيق فكر ، انظر معى إلى الآيتين اللتين جاءت فيهما كلمة الوسيلة تجد مايلى :-

١- **الآية الأولى :-** فيها أمر من الله بمنزلة الفرض بالتوسل إليه بالطريقة التى تقربنا منه، وهل التوسل بالنبي - ﷺ - يبعدنا عنه ؟ وهل التوسل بالصالحين المقربين إليه بشهادة الناس كما جاء فى الحديثين اللذين ذكرناهما سابقاً يبعدنا عن الله ؟ أم يقربنا منه ؟ هل حب الصالحين سواء الأحياء منهم أو من فى القبور يبعدنا عنه؟ فقد كان يكفى الصحابة استغفارهم الله دون واسطة حتى يغفر لهم ، ولكن جعل الله تعالي الرسول - ﷺ - مع استغفارهم واسطة ليغفر لهم ، يقول الله تعالى:- " ... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾" [1]، وكان يكفى الثلاثة الذين سدت عليهم الصخرة فم الغار دعاء الله مباشرة ليفرج عنهم ، ولكنهم توسلوا بصالح أعمالهم ، ففرج الله عنهم ، حتى الصلاة قد يقبلها الله من المصلين من أجل مصلى صلاته مقبولة ، وقد ينصر الله جيشا عرمرماً من أجل مجاهد واحد مقبول العمل ، ولا حظ معى أن آية التوسل الأولى فيها أمر لجماعة المؤمنين

٢-**لاحظ معى فى الآية الثانية :-** أنها تتحدث عن جماعة من الكفار عبدوا بعض الجن ، ولما أسلم الجن ظلوا على عبادتهم والتقرب إليهم ، والله- عزوجل -فى هذه الآية يعيب عليهم ذلك .

****

١ - (سورة النساء آية ٦٤)

توضيح الآيتين اللتين جاءتا فى سورة نوح :-

يقول الله تعالى :- " وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾"[1]

هاتان الآيتان يحتج بهما الكثير من منكرى التوسل بدعوى أنه شرك بالله ، وللرد على هؤلاء نحكى قصة هاتين الآيتين لبيان فهمهم الخاطئ وتشددهم الزائد عن الحد المطلوب .

جاءت هاتان الإتيان تحكى عن قصة خمسة أولياء من قوم نوح ، أحبهم الناس حباً شديداً ، وبعد أن انتقلوا إلى قبورهم توسل بهم قومهم توسلاً صحيحاً للتقرب إلى الله بعيداً عن الشرك والعبادة ، واعتقاداً بأن الضار والنافع هو الله ، وهؤلاء الأولياء ما هم إلا رجال صالحون مقربون من رحمة الله ، يستجيب الله دعاءهم ، إلي هذا الوقت لم يعب الله عليهم ذلك ، ولم يبعث لهم رسل ، وهذا ما عليه المسلمون من الاعتقاد الصحيح في الأولياء ، واسأل أي متوسل بهم يقل لك هذا الكلام ، إنه ولي الله مستجاب الدعاء ، ولذلك نجعله واسطة بيننا وبين الله لأننا أصحاب ذنوب ومعاصي .

وعقيدة المسلمين استمرت وتستمر وستستمر وسوف تستمر صحيحة إلي يوم القيامة بإذن الله ، لأن أمة الإسلام أمة مرحومة ببعثة المصطفي - ﷺ - أعظم ولي لله ، ولم نصل ولن نصل إلي المرحلة الثانية وهي التوسل الخاطئ ، وهو إشراك الأولياء أو غيرهم في عبادة الله مثلما فعل قوم نوح – عليه السلام – وبعث الله إليهم سيدنا نوح – عليه السلام – ليصحح لهم هذه العقيدة ، فرفضوا فكانت نهايتهم الغرق في الطوفان ، ونجاة الذين صححوا عقيدتهم .

****

١ - سورة نوح الآيتان (٢٣ ، ٢٤)

سؤال من هؤلاء المنكرين :-

الأدلة التي جئت بها من آيات وأحاديث للدلالة علي جواز التوسل ، إما دعاء أو استغفار وليس توسل لقضاء الحاجات .

الجواب :-

أقول لهم :- ما معني الدعاء ؟ معني الدعاء هو طلب قضاء بعض حوائج الآخرة كدخول الجنة والرحمة والغفران والنجاة من عذاب النار ، وحوائج دنيوية كالرزق وراحة البال والصحة وهداية النفس والأبناء والأزواج ، أما الاستغفار هو دعاء أو طلب للغفران ، والتوسل عبارة عن طلب من النبي - ﷺ - أو الولي حياً أو في قبره أن يطلب من الله – عز وجل – قضاء الحوائج ، وفي النهاية الفاعل أو قاضي الحوائج هو الله – سبحانه وتعالي - .

****

سؤال ثاني من هؤلاء المنكرين :-

كيف ينفع النبي أو الولي وهو ميت ؟

الجواب :-

إن اعتقاد النفع والضر في النبي - ﷺ - وتكفير من يعتقد ذلك ، فهذا هو الخروج بعينه الذي عناه ابن عمر – رضي الله عنهما – فيما نقله البخاري في صحيحة أن الخوارج " المتشددين في عصرنا " قوم عمدوا إلي آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين ، فهلا كفَّروا من يعتقد أن السُّم قاتل ، وأن العقرب تلسع وتضر ، وأن الدواء يشفي المرض ، وأن الطبيب يعالج ويداوي وأن الماء يروي الإنسان والحيوان والنبات ..... ، فهل السم قاتل إلا بمشيئة الله ، وكذلك العقرب لا تضر إلا بمشيئة الله ، وكذلك الدواء لا يشفي إلا بمشيئة الله،

والطبيب لا يعالج ولا يداوي إلا بمشيئة الله ، وكذلك الماء لا يروي إلا بمشيئة الله ، فالقرآن ملئ بأفعال العباد ، فهل عابوا ذلك علي الله ، حتي كل أفعالنا وأقوالنا لا تحدث إلا بمشيئة الله .

من العجيب أنهم إذا نوقشوا في التوسل بالأولياء ، وحاولت إقناعهم بأن التوسل صحيح قالوا : الولي ميت ، فكيف ينفع الميت ، فياللعجب !!! وهل الحي ينفع ، والميت لا ينفع ، لقد أثبتوا نافعاً غير الله وهو الإنسان الحي " ... فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ " [1]

إن الحي والميت سواء ، إذا قلنا لا فاعل ولا نافع ولا ضار ولا قادر إلا الله ، وفي الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم في صحيحة"**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**" وكذلك في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم أيضاً في صحيحة " **من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة** " .

فقد ندبنا رسول الله - ﷺ - إلي أن العبد ينفع أخاه إن استطاع ، ويفرج كرب أخيه إن استطاع ، وله في ذلك أجره يوم القيامة ، ولم لا يُنادَي الذين في قبورهم ، وقد ناداهم رسول الله - ﷺ - في قليب بدر وهم الكافرون " ذكرنا الحديث مرتين قبل ذلك " وكان يسلم عليهم كلما زار القبر ، وأمرنا بالسلام عليهم كلما مررنا علي القبور ، وقد جاء في السنة أن أهل القبور يشعرون بزائريهم ، ويفرحون ، ويسمعون ، ويسرُّون بالصدقة عنهم ، ووصول الخير إليهم ، كما أثبتنا بالأحاديث من قبل أن أهل القبور ليسوا معدومين ، ولكنهم أحياء في البرزخ ، والأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون أحياء في قبورهم يرزقون .

---

١ - النساء: الآية(٧٨)

وقد أتفقت كلمة الأعلام من أهل السنة والجماعة علي أن أرواح السعداء غير مسجونة ، وأرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين لها من الله المزيد ، **ولا بن القيم** " تلميذ إبن تيمية " كتاب رائع عن الروح يسمي كتاب " الروح " ذهب فيه إلي أن روح مثل روح النبي - ﷺ - وروح أبي بكر الصديق وروح عمر بن الخطاب – ربما هزمت جيوشاً جرارة " ذكرنا ذلك من قبل بسنده "

وإذا كانت بهذه المثابة أرواح الأكابر ، وفي الأمة المرحومة لا يحصون كثرة ، من هؤلاء الصديقين والشهداء والصالحين ، وعلي رأسهم أفضل خلق الله عل الاطلاق سيدنا محمد - ﷺ - فما هذه الطنطنة من أولئك أتباع المارقين بأن النبي - ﷺ - والأولياء أموات معدومو الحياة ، لا يسمعون ولا يعقلون مثل الاصنام ، وهذا الحديث يؤكد مرة أخري حياتهم ، فعن السيدة عائشة ، أم المؤمنين ، الصديقة بنت الصديق وعن أبيها – رضي الله عنهما - قالت : **كنت أزور الروضة مسفرة وأقول أبي وزوجي فلما دفن عمر بجانبهما ، كنت أزور الروضة متقنعة حياء من عمر** . وهذا يدل علي فهم السيدة عائشة لمعني الموت .